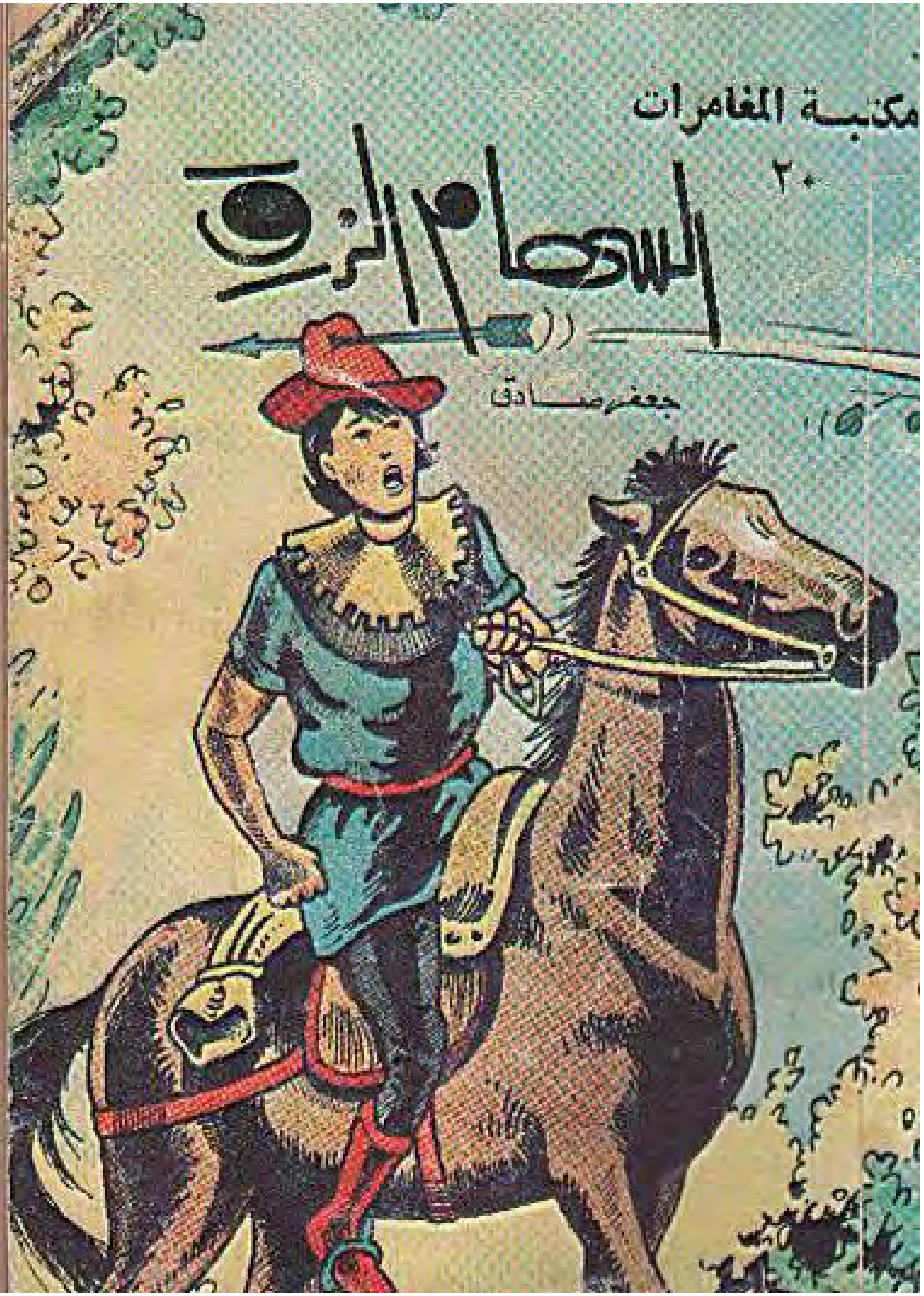


مكتبة المغامرات

٢٠

السهام الزرق

جعفر صادق

(١)

ارخى كريك العنان لفرســه فبدأ الحصان يبطيء في سيره ثم تمهل، قليلا تلفت كريك خلفه، وسحب نفسا عميقا حين وجد أن لا أحد يطـارده ، ظل يخترق ممرات الغابة الكثيفه متهاديا في سيرة وهو يسترجع أحداث الساعات الماضية ، والحق انها كانت قاسية ومتعبة ، فقد اكتشفه رجال الطاغية جيسلر داخـل اسوار المدينة وطاردوه ، ضيقوا الحصار عليـه ، ولكنه وفي اللحظة الأخيرة فقط استطاع أن ينجو منهم ، عندما أشهر سيفـه بوجـه حرس البوابـه

الرئيسيه وانقض عليهم مطلقا صيحة جمدت الـدم
في عروقهم ثم انطلق باقصى سرعتـه ، عندما حاول
أحدهم أن يعترضه أهوى عليـه بسيفه فارداه قتيلا
يتخبط في دمه ثم ليجد نفسه وسط الغابة ، متوجهاً
الى كوخ صديقـه الحميم وليم تل ، عـدو جيسلر
اللدود ، كان كريك يزعج الطاغية ويستفز حراسـه
الشـرسين ، ولم يكن جيسار يحلم باصطياد كريك
مثل حلمه بالقبض على وليم تل .

اجتاز كريك الممر الرئيس وسط الغابـة حيث
أشجار الصنوبر وتحيطـه الاعشاب البرية المتطاولة
مثل سياج أخضر يكاد يحجب المارة الا قليلا ، وظل
القلق يساور كريك على جيم الصغير ابن وليم تـل
الذي يرعاه منذ أن غاب أبوه في رحـلة طويلـة ،
وكان في زيارة خاطفة للمدينة لاحضار الطعام لـه
وللصغير جيم قبل أن يلمحه حرس جيسلر ويحدث
ماحدث ، عندما تـذكر الصغير جيم لكز كريـك

فرسه وأراد الانطلاق بها سريعا نحو الكوخ الصغير
الذي شارف الوصول اليـه وقبـل ان يشتد كريك
الحصان أز في الفضاء صوت خاطف ثم احس كريك
بأن شيئا ما يخترق قبعته العالية ، • تسمر في مكانه
وقال كأنه يحدث أحدا بجانبه :

ـ اللعنه ، لابد أنهم رجال جيسلر وقد نصبوا
لي فخا في هذه الاحراش الكثيفة .

امتدت يده ببطء ، رفعهـا الـى قبعتـه كـان
ثمـة سهم يخترق القبعـة ، سحب السهم وادناه من
عينيه ، فابتسم ، ثم أجال بصره في ارجاء الغابة ، لقد
كان سهما أزرق ذا زعانف مائله ، وهذا النوع
لايعرف صنعه ورميـه سوى وليم تل فصـاح كريك
باعلى صوته :

اللعنـه عليك ياصديقي وليم ، أين انت ؟

وقبل ان يتم كلامه ، كان تل وكأنه شبح ينتصب



احس كريك بان شيئاما يخترق قبعته

واقفا أمامه • ترجل كريك عن حصانه واحتضن رفيقه وليم وقال :

ـ لقد اخفتني ياصديقي !

ربت تل على كتف صاحبه وهو يقول له :

ـ ماهذا الهراء ياكريك ، أتشك في شجاعتك ؟

قال كريك ـ لا طبعاً ، ولكن سهامك الزرق تجعل الصخر يرتجف خوفا فكيف بي أنا ؟ !

اقتاد الاثنان حصانيهما وواصلا المسير باتجاه الكوخ سأل تل : كيف حال صغيري جيم ؟

رد كريك ـ انه يكبر مثل عجل صغير ، ولكنه لاينفك يسأل عنك •

ـ لقد اشتقت اليه كثيرا ياعزيزي كريك •

ـ وكيف حال صاحبنا جيسلر الطاغية ؟

عبس كريك قليلا ثم قال بغضب مكتوم ،

ـ الحق ياصاحبي انه يزداد ظلما وبطشا ، وما ينفك يبتكر كل يوم طريقــه جديدة لابتزاز الناس واضطهادهم ، صمت « تل » قليلا وقال •

ـ انه يسعى الى موته بنفسه ، وماذا يقول أبناء المدينة عني ؟

ـ انهم قلقون عليك ، لقد غبت طويلا ، ياوليم •

توقف كريك عن الكلام قليلا ثم التفت الــى صاحبه قائلاً :

ـ لقد خرج جيسلر على الناس ببدعة جديدة •

ـ ماهي ؟

ـ نصب قبعته ، على عمود وسط ساحة المدينة ، وفرض على الناس تحيتها ، والويل لمن يخالفه •••

ضحك وليم بصوت عال وقال :

ـ مارايك لو ذهبنا الى المدينة وأدينا التحية لقبعة

جيســلــر •

ورد كريك ـ تعرف ان لا مانع عيدي •

سحب وليم تل عنان فرسه وانطلق قائلا :

ـ ولكن علينا ان نذهب للبيت لنطمئن على جيم ثم نأخذ قسطا من الراحــة وبعد ذلك نفكر بقبعــة جيسلـــر •

انطلــق الاثنان على فرسيهما ايقطعان الطريق نحو الكوخ الذي بدأ يلوح من بعيد وسط فسحــة تحيط بها الاشجار والاعشاب ، لم يجد « تل » الفتى في الباحــة مثلما تعود أن يراه دائمــا فأحس بضيق واكتئاب ثم التفت الى كريك •

ـ ترى اين ذهب الفتى ؟

دخل « تل » الكوخ فلم يجد فيه الصغير جيم ، صرخ باعلى صوته : جيم •• جيم •



اخذ كريك الرقعة وبدا يقرا

انطلق نحو الجانب المطل على خلف الغابة ، فلم يسمع أي جـواب ، بينما كان كريك يفتش الانحـاء المجاورة ، علـه يسمع صوت الفتى او يلمح لـه أثرا دون جدوى ، ففضل العودة الى باحة البيت ، وهناك وجد « تل » متكئا على جذع شجرة وهو يقرأ في رقعة جلد وقسمات وجهه لا تدعو الى الارتياح ؟

سأل كريك بقلق ـ ما الأمر ياوليم ؟

مد تـل يده بالورقة الـى كريك وقال لـه

ـ خذ اقرأ ؟

اخذ كريك الرقعـة وبدأ يقرأ ..

« عزيزي وليم تل ..

اذا اردت الابقاء على حياة صغيرك جيم فتعـال الينا في قصرنا لنبحث الأمر ، وسوف يسرنا أن نستضيفك ونكرمـك .. والا فلن تجد طفلك

حيا بعد ذلك جيسلر ••••

كور كريك قبضته على الرقعة الصغيرة وطوح بهـا أرضـا •

ثم قال ـ أين وجدت الرقعـة ؟

ـ هناك ••• !

واشار الى شجرة جوار البيت ثم أضاف :

ـ كانت مثبتـه على جـذع الشجرة بسهم من سهامنا الزرقاء •

كان كريك يهتز غضبا وهياجا مثل ثور ذبيح •

ـ اللعنة ، لقد جرى الأمر بسببي لقد تركت الفتى دخل الكوخ وذهبت لأجلب الطـعام ، ولكن النذل جيسلر استغل غيابي فاختطف الفتى ، ساعرف كيف أكفر عن ذنبي وانقذه •

امسك كريك بلجام فرسـه وحاول أن يمتطيه فاستوقفه وليم :

ـ ألى اين •• ؟

ـ الى المدينة ، علي ان أنقذ الفتى ولو كلفني ذلك حياتي •

ريت تل على كتفه مهدئا وقال •

ـ لاعليك ياكريك ، اهدأ ، الان ، وعلينا أن نفكر بطريقة تنقذ الفتى من غير أن تلحق الأذى •

(٢)

في صباح اليوم التالي كـان الفارسـان يدخـلان بوابة المدينة الرئيسـة متنكرين ، متجهين صـوب الساحة العامة ، ومن بعيد كانت قبعـة جيسلر تلوح لهما منتصبة فوق عمود عال ، وسكان المدينـة الذي يمرون بها يرفعون لها ايديهم محيين خوفـا من بطش جيسلر الذي وضع حراسه بقربها .

من على صهوة جواده ، استل تـل سهما مـن سهامـه الزرق ، ثم ثبتـه في قوسـه ، وبسرعـة

خاطفة كان السهم يعرق في فضاء الساحة ويخترق القبعة ، سرى الارتباك بين صفوف الحراس ثم تقدم احدهم نحو القبعة واخرج السهم منها ، وما كاد يرى السهم حتى ارتجفت اوصالة فرمى بـه أرضا واستل سيفه صائحا •

ـ خذوا حذركم ايها الحراس ، ان وليم تل في المدينة ، وهذا أحد سهامه يخترق قبعة مولانا جيسلر ، توزع الحرس في الساحة بينما هرول الناس فزعين متفرقين لانهم أوجسوا خيفة مما سيحدث ، بينما كان تـل وكريك يزيحان اللثام عن وجهيهما متقدمين من الحراس •

صاح تل ـ اغمدوا سيوفكم ايها الحراس ، لم نأت لمقاتلتكم ولو فعلنا هذا لما كنتم الان على قيدالحياة خذونا الى قصر طاغيتكم جيسلر فاننا جئنا لمقابلته • غير أن أحدا من الحراس لم يجرؤ على الاقتراب

مـن تل وكريك بل أطلق الجميع سيقانهم للريح ، فضحك تل ثم التفت الى كريك قائلا :

ـ عليك أن تبقى هنا ، وتنفذ ما اتفقنا عليه •

احنى كريك رأسه موافقاً :

ـ حسنا ياوليم لترافقك السلامة •

ترجل تل عن حصانه واسلم قياده الى كريك ثم بدأ يقطع الطريق متوجهاً نحو قصر جيسلر المحاط بعدد كبير من الحراس • كان تـل يسير بخطى واثقة وهادئة باتجاه القصر ، فقد عبر بوابته ، ولم يعترضه احد من الحراس ، اذ كانوا يعرفون بأمر هذه الزيارة مسبقا •

دخل تل البوابة الرئيسة للقصر ثم خطا في الممر بأتجاه قاعة جيسلر فهو يعرف القصر جيدا ويستدل على غرفة واحدة واحدة فكثيرا ما كان تل يضطر الى

زيارة جيسلر ومفاجأته حتى في غرفة نومه ، كان هذا يحدث قبل ان يستفحل أمـر جيسلر ويزداد بطشه واضطهاده وعندما كان تل يـرى أملا في اصلاحه وترشيده أما الان وقد اضطر الى ان يلجأ الى اختطاف أبنه فالأمر يبدو مختلفا تماما ، ولابد لهذا الطاغية ان يرحل تماما هذه الدنيا •

عند بوابة القاعة التي يجلس فيها جيسلر ، كان ثمه حارسان واقفين ، كانا ضخمين مفتولي العضلات ، توقف تل ازاءهما وقال :

ـ قولا لسيد كما جيسلر ان وليم تل بالباب •

اضطرب الحارسان وشعرا بالخوف فقال أحدهما •

ـ حسنا ياسيدي سنبلغه حالا •

استدار الحارس ودخل القاعة ليعود بعد قليل لينحني أمام تل قائلا •

ـ تفضل ياسيدي ، ان مولانا جيسلر باتنظارك ، ولكن عليك أن تسلمنا جعبة سهامك •

نزع تل جعبة سهامه وقدمها الى احد الحارسين ثم ولج القاعة ، تقدم نحو مجلس جيسلر بخطوات هادئة متزنة فوجد جيسلر بانتظاره واقفا ضاحكا تنضح من قسمات وجهه البشع كل سمات الحقد والجشع والكراهية ، وما ان اصبح تل بمواجهته حتى صاح جيسلر •

ـ اخيرا التقينا ياتل •

رمقه تل بنظرة قاسية ثم قال بصوت متهدج •

ـ أين ولدي جيم ؟

رد جيسلر متصنعا اللطف :

ـ انه هنا في ضيافتي ، وأرجوا المعذرة ، لقد



اخيرا التقينا ...

اضطررت الى هذه الطريقة ، املا في رؤيتك والحديث معك •

سأل وليم ــ ماذا تريد مني ؟

اشار جيسلر الى كرسي بجانبه وقال :

ــ تفضل ، استرح ، ولنتكلم بهدوء •

جلس الى جوار جيسلر الذي يحيط به حرسه ، بينما جلس على جانبه الاخر شتاين رئيس الحرس الفظ ، الجشــع •

تمتم جيسلـــر قائــلا :

ــ اعرف انك فارس شجاع ياتل ، فلم لاتتعاون معي ، وسأعينك رئيسا لحرسي الخاص ،

ابتسم وليم تل ابتسامة ساخرة وقال :

ــ لن اكون لصا في جوقة لصوصك ياجيسلر ،

انا وليم تل لقد أحبني الناس ووجدوا في قوسي وسيفي ملاذا من بطشك وجشعك فلن اخيب ظنهم في ، كـن واضحا ياجيسلر وأطلق سراح ولدي ..

استشاط جيسلر غضبا فنهض من مكانه وبدأ يجأر بصوت أجش وهـو يحدق في وليم بغضب وحقد.

ــ من تظن نفسك ياهذا ؟ انك في قبضتي الان ، وحراسي يطوقون القصر من كل جانب وأبنك عندي رهينة تماسك تل وقال بهدوء .

اذا لحق بي وبأبني أي سـوء ، فلسوف تندم على ذلك ، انا لم آمر رجالي بقتلك حتى الان أمـلا بصلاحك ، اما اذا حاولت ان تؤذينا فأعلم ان من بين رجالي من هم داخل قصرك الان وهم مستعدون لأن يلقوا بـك في جهنـم .

شعر جيسلر بالخوف من تهديد تل ، فهـو يعرف تماما ان هـذه الفارس يعني مايقول ، وهنا تدخـل

شتاين رئيس الحرس المعروف بخبثه ودهائه وقال :

ــ اذا سمح لي مولاي ، فانا أقترح ان نطلق سراح تل وأبنـه .

التفت جيسلر الى شتاين فلمح ابتسامتـه التي يرسمها على وجهه كلما خطرت على بالـه مكيده من مكائدة فقال لـه :

ــ وكيف نطلق سراحهما ياشتاين بعد كل هذا ؟

ــ يقال أن تل بارع في رمي السهام ، وخصوصا سهام الزرق ولكننا بحاجة الى أن نمتع بصرنا بموهبته هـذه .

خطا شتاين خطوتين نحو تل وقال :

ــ ولكننا بحاجة الى ان تتمتـع بصرنا بموهبتـه هـذه .

ضاق تل ذرعا فصاح :

— هل تشك في مقدرتي في رمي السهام التي أطاحت بالكثيرمن حراسك ؟

هز شتاين رأسه نفيا وقال :

— لا .. لا قطعا ولكنني اقترح أن تسدد سهما نحو تفاحة نضعها فوق رأس ابنك جيم ، فاذا اصبتها فانتما حران ، واما اذا اخطأتها فعليك أن تموت وابنك .

صفق جيسلر بيديه فرحا وقال .

— شرط معقول ، أنا موافق على ذلك .

فقد كان جيسلر قد فهم مغزى اللعبة التي اراد شتاين أن يلعبها .

وفي ذات الوقت فهم تل مايدبر له ولكنه كان يعرف مقدرته في الرمي ومهارته في تسديد السهام فوافق على الشرط على ان تجري اللعبة ظهر اليوم نفسه .

(٣)

غادر تل قاعة جيسلر ثم خرج من بوابة القصر وتوجه الى لقاء صديقه كريك الذي كان مضطربا لتأخر صديقه ، اقتاد الاثنان حصانيهما ثم توجها الى فسحة في اقصى المدينة ، ثم استلقيا على العشب كان تل مترددا ، وقد بدأ الشك يساوره في مقدرته على التسديد المتقن .

قال كريك — اراك ساهما ياوليم ؟

— الحق ياكريك ، انا متوجس من هذه اللعبة

القذرة التي دفعني اليها جيسلر •

ـ هل تشك في مهارتك على قذف السهام ؟

ـ لا •• ولكن الامـر متعلق بولدي هذه المرة ، بجيم •

توقف تـل عـن الكلام برهـة ثم التفت الى كريـك قائـلا :

ـ ولكن جيسلر يريد من لعبتـه القذرة هذه شيئا آخـر •

ـ ما هـو ؟

ـ انه يراهن على ارتباكـي ، فـان أفلت السهم التفاحة فنحن ميتان ، وان أصبت ولدي فلن أدعـه حيا ، واذا ماأصبت التفاحة فسنجد انفسنا مطوقين

بالحرس ، ولن يدعنا هذا الخبيث نخرج سالمين •

هز كريك رأسه موافقا وقال :

ـ نعم ، كل هذا صحيح ، وعليك ان تأخذ الان قسطا من الراحـة فأمامنا عمل كثـير •

اعتدل تل في جلسته وقال :

ـ طيب ، اسمع سأشرح لك ما علينا أن نعمله وما هـو مطلوب منـك :

• • • •

ظهرا كانت ساحة المدينة تضج في لغط وفوضى كبيرتين وحرس جيسلر يطوق المدينة ويسد كل المنافذ المؤدية اليها وفي وسط الساحـة الرئيسة أجلس الفتى الصغير جيم ووضعت فوق رأسه تفاحـة ، بينما جلس جيسلر في المنصه العاليـة التي نصبت لـه في الجانب

الأيمن من الساحـــة يحيط به حرســه الاشداء وعلى رأسهم شتاين رئيس حرســه الداهية •

وتجمع ابناء المدينـــة حول أطرافه الساحـــة وهم يلعنون في سرهم الطاغية شتاين الذي عجز عن التغلب على بطلهم فلجأ الى الغدر والخديعة ، غير أنهم كانوا واثقين تماما من مقدرة تــل على التسديد بالسهم اذ لاأحديضارعه فيها من كل ابناء البلدة وفي الجهـــة المقابلـــة وقف كريك متنكرا وبجانبـــه حصانان بينما غطت الساحة في صمت عميق عندما تقدم تل ووقف على بعد خمسين مترا من المكان الذي أجلس عليـــه جيم وفوق راسه التفاحة •

أخذ تل سهمين من جعبته وضع الأول في عبـــه وثبت الثاني في قوسه ، نظر الى أبنه فوجده صامتـــا متسمرا في مكانـــه ، ابتسم له وصاح :

ـ لاتخفه ياجيم ، اثبت في مكانك ، ولاتشك ي



وضع تــل السهم الثاني ••

مقدرة ابيك على التهديف .

أخذ تل نفسا عميقا ، ثم شد وتر القوس ، وركز نظره في مركز التفاحة القابعة فوق رأس جيم ، وبدلا من ان يطلق السهم أرخى تـل القوس ، ثم اخـرج السهم واستبدلـه بالسهم الآخـر .

تململ جيسلر في مكانه وتساءل في سره :

ـ لماذا فعل وليم تل ذلك ؟ !

وضع تل السهم الثاني في القوس ، سحب الوتر، ثم أعاد التركيز على منتصف التفاحـة ، ثم أطلق السهم ، وبينما كانت الانفاس مقطوعـة كان السهم يشق طريقـه ليشطر التفاحة الى نصفين فيها ضجت الساحة بصيحات الفرح والاعجاب .

لم يطق جيسلر الموقف فنهض من مكانه منزعجـا

بينما كان تل يتقدم من المنصة ليقف تحتها مخاطبـا

جيسلر .

ـ الان ستفي بوعدك ايها الحاكم وتطلق سراح الصغير .

أومأ الحاكم برأسه وقال :

ـ نعم .. نعم .. ولكن دعني أسألك سـؤالاً أخـيراً .

ـ قل مابـدا لـك .

سأل جيسلر ـ لقد رأيتك تسحب سهمين بينما كان المطلوب ان تطلق سهما واحدا ، فهل معنى هذا أنك لم تكن واثقا من نجاح محاولتك الاولى .

ابتسم تل وقال :

ـ لا أبداً .. لقد كـان السهم الثاني مـن نصيبك فيما لو فشلت وأصبت ابني .

وجد جيسلر في جواب تل هذا فرصة للتخلص

من وعده متظاهر بالغضب فصاح :

ـ من تظن نفسك ياهـذا ، انك تهينني ، ايها الحراس أقبضوا عليه ، ولا تدعوه يفلت منكم •

ويبدو ان تل كـان مستعدا تماما لمثل هـذا الموقف ، فصفر بفمه بصوت يعرفه كريك جيدا ، فانطلق بحصانه واختطف الفتى جيم من مكانـه بينما ركض تل نحو الحصان الاخر فوثب عليه ليجد سيفه وقد وضعه له كريك في سرج الفرس • وساد الارتباك وعمت الفوضى صفوف الحرس ، وبينمـا تمكـن كريـك مـن الافـلات بـالفتى وعبـر كريك ما الافلات بالفتى وعبر بوابة المدينة كان تل يشهر سيفه وهو يصول وسط الساحـة • حاول اثنان من الحراس أن يتصديا له ، لكنهما سرعان ماتلقيا طعنتين اردتهما قتيلين ، لم يكن تـل يريـد



حاول الاثنان ....

الاصطدام بالحرس فقد كان هدفه جيسلر فظل يبحث عنه وهو يصول وسط الساحة ، ولكن جيسلر الذي ادرك خطورة الأمر كان قد تسلل وسط الفوضى وهرب لائذا بقصره ، فيما تولى رئيس حراسه شتاين ادارة المعركة وتوجيه حراسه لمقاتله تل ، وفي ذات الوقت كان ابناء المدينة يسهلون مهمة تل فقد بدأوا بقذف الحرس بالاحجار فيما كان تل

يشق طريقه بصعوبة نحو المكان الذي سبق ان اتفق عليه مع صديقه كريك غير ان الأمر كان اكثر صعوبة بالنسبة لتل اذ قطع عليه حرس البوابة الرئيسة الطريق ووقفوا بشكل سد ليمنعوا خروجه انطلق تل بحصانه بأقصى سرعته وما ان وصل

الحراس حتى أطلق صرخه مدوية وسدد سيفه الى اقرب الحراس اليه فاطاح به ولم يجد بقية الحراس مفرا من أن يفسحوا له الطريق للخروج قبل أن

يجهز عليهم واحدا بعد الآخر فقد كان تل لايقاوم •
وليذهب جيسلر الى الجحيم •

* *

أغرق تل في الضحك وهو يرى ابنه الصغير جالسا فوق ظهر صديقه كريك ، امام باب الكوخ ، صاح تل بصديقه — ماهذا ياكريك ، ثم اشار الى ابنه وقال •

— انزل ياجيم ، انك تمتطي ظهر فارس رائع لاحصان ، غير ان كريك همس في اذن جيم لأن يبقي بينما خاطب وليم :

— انني أكفر عن ذنبي ياعزيزي وليم ، فلولا غفلتي ما اختطف جيسلر صديقي الصغير •

قهقه تل بصوت عال وقال :

— عليك ان تفكر بطريقة اخرى للتكفير عن

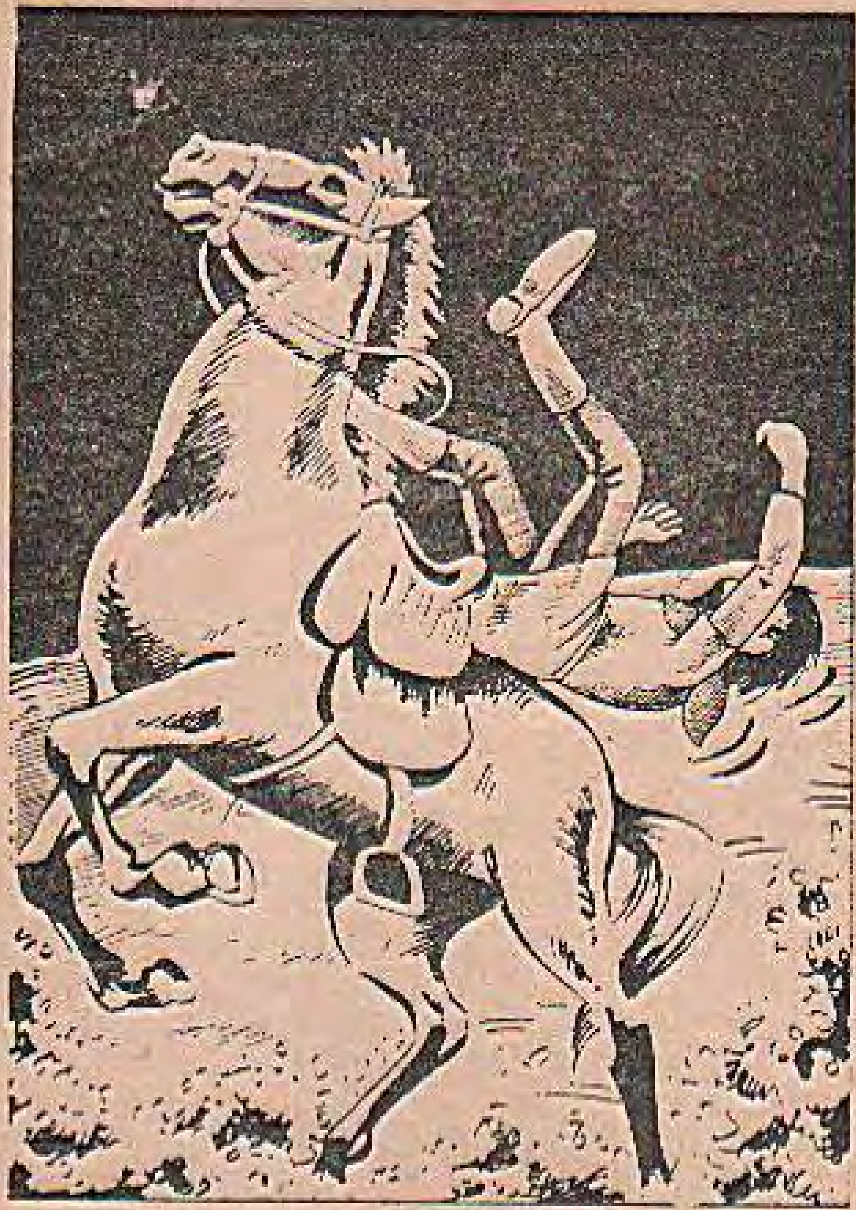
ذنبك ، فلابد أنك تشعر مثلي بجوع كبير بعد المجهود الذي بذلناه اليوم • انهض واطبخ لنا حساء لذيذا ، واحرص على الا تحرقه مثل كل مرة •

انشغل كريك فترة بجمع الحطب اللازم لطبخ الحساء بينما راح تل يبري المزيد من سهامه الزرق التي يتقن صنعها وتسديدها ، كان جالسا وهو يستند بظهره الى جدار الكوخ فيما راح الصغير جيم يمرح الباحة • احضر كريك الحطب وجعله تحت القدر وراح يوقد النار وكان يكلم تل :

ـ كنت رائعا ياعزيزي وليم ، فلقد جعلت من جيسلر اضحوكه •

ـ أرجوا ان يكون الدرس مفيدا له ، فيرأفه بحال ابناء المدينة •

ضحك كريك عاليا ، :





استمر الضرب فترة طويلة سقط على اثرها هانز مغشيا عليه

ـ انك تبدو غير مقنع ياعزيزي وليم ،

ـ كيف ؟

ـ سيجد جيسلر في ضحك ابناء القرية عليـه ، وسيلـة جديدة يبرر بها فرض الكثير من الضرائب عليهم •

توقف تل عن بري نباله الزرق ثم صاح ••

ـ اذن علينا أن نهيء انفسنا لمواجهة أخرى مع جيسلر •

ـ هيه ، بل قل مواجهات اخرى ، ياوليم ،

نهض تل من مكانه وتهيأ لدخول كوخـه وهو يقول بغضب مكتوم :

ـ بل هي مواجهة أخيرة ، فاما أن يرحل جيسلر أو ارحـــل انا !

في تلك الاثناء كان جيسلر يبدو مثل قنفذ مبتـل كان يرغي ويزبد واوصاله تشتعل غضبا ، وفمه لا

يكف عن اطلاق الشتائم واللعنات على حرسه الذي تجمع حوله صامتا منكسرا • متهما اياهم بالجبن وبالتواطؤ مع تل ، الأمر الذي سهل عليه مهمة الافلات من الطوق الحديدي الذي ضربوه حوله وهو داخل اسوار المدينة • كان جيسلر لفرط غضبة لايقف في مكان واحد ، بل كانت جدران القاعة تتقاذفه وعندما صار على مقربه من رئيس حراسه شتاين ، همس هذا في أذنه •

ـ ليس الذنب ذنب الحراس ياسيدي •

زمجر جيسلر بغضب واضح :

ـ انك لاتنفك تدافع عن حرسك الجبان ياشتاين ، ترى من يكون السبب في رأيك ؟

تصنع شتاين الهدوء والحكمة وهمس في اذن جيسلر :

ـ انهم سكان المدينة ياسيدي ، الذين اهانوا

قبعتك وساعدوا تل على الهرب •

ـ اللعنة عليك وعليهم جميعاً ، ليذهبوا الى الجحيم •

ـ ولكن لوسمح الي سيدي ، فلدي فكرة أخرى بمعاقبة اهل المدينة وجعلهم يرضعون لنا •

اطلق شتاين ضحكة مدوية سرعان ما تحولت الى ابتسامة بلهاء وقرب فمه من اذن شتاين وهمس :

ـ ارجو الاتكون مثل فكرة القبعة التي جعلتنا أضحوكه في أفواه الناس •

هز رئيس الحراس رأسه نفيا وتمتم قائلا :

ـ لا •• لا قطعا ياسيدي ، وستكون فكرة مربحة ايضا • جحظت عينا جيسلر وسال لعابه لذكر المال الذي يحبه ويكتنزه فقال :

ـ هيه ، ماهي فكرتك الجهنمية هذه ؟

أوما جيسلر برأسه للحراس • فبدأوا بالانصراف

وحين خلا له الجو مع شتاين . قال :

ـ يمكن الان ان تتكلم بوضــوح ياعزيــزي شتايـــن .

تنحنح رئيس الحــراس متصنعــا الحكمــة والاخلاص لسيده وقال :

ـ نضع كيسا جلديا قرب بئر المدينــة ، ومن يأخذ ماء عليه أن يضع قطعة معدنية في الكيس وبما ان هــؤلاء الأوغاد لايستطيعون الاستغناء عن الماء فسيمتليء الكيس كل يوم .

ارتسم الفرح على قسمات وجه جيسلر وقال ..

انــه عقاب ممتاز لهؤلاء الرعاع ..

ولكنه توقف عن الكلام برهة ثم أضاف :

ولكن الا تعتقد أن تل سيجدها حجة ، ويهاجم البئر محاولا افشال هذه المحاولــــة ؟

ـ لا ياسيدي سنضع خـيرة حراسنا لحراســة

البئر . أطرق جيسلر مفكرا بعض الوقت ثم رفع عينيــه نحـــو شتاين :

ـ اســمع ياشتاين ، ماعاد المال يهمني بقدر ما يهمني رأس تل ، فكرتك هذه ممتازة ، وسأجعل المال المتجمع هديــة لكل من يأتيني بتل حيــا أو ميتـــا .

فرك شتاين يديه فرحا وانثنى على سيده متملقا :

ـ عظيم ، سيسيل لعاب هــؤلاء الرعاع للمال وسيقدمون لك رأسه على طبق من ذهب .

في صباح اليوم التالي كان كل شيء معدا ، فقد أحضر الحراس كيسا جلديــا وعلقوه قرب البئر في الساحة الرئيسة للقرية وصاحوا في الناس :

ـ بأمر مولانا جيسلر حاكم المدينة ، لــن يسمح لأحد باغتراف الماء من البئر ، الا بعد أن يضع قطعــة معدنيــة في هذا الكيس .

وسيمنح مولانا جيسلر المال المتجمع لكل من يأتيه بوليم تل حيا أو ميتا .

ضجت المدينة بالاستنكار وانهالت اللعنات على جيسلر من افواه ابناء الفقراء الذين أنهكهم جيسلر وجلاوزته بضرائبه وسرقاته ،

لم يكن أمام أهل البلدة سوى الأنصياع لهذا الامر الذي الجائر فهم بحاجة الى الماء للشرب لهم ولمواشيهم وكانوا يدفعون قطعة نقد صغيرة مقابل كل دلو ماء وكان الكيس الجلدي المعلق بين وتدين قرب البئر يزداد امتلاء واكتنازا كل ساعة . فيما راح حراس جيسلر يرمقون بنظراتهم الشرسة كل من يقترب من البئر . وينهالون بالضرب على كل من يحاول التملص من هذا الأمر .

فيما راح بقية ابناء البلدة يتهامسون :

ـ لابد من اخبار تل بهذه اللعنة الجديدة .

ـ اتريده أن يأتي الى الفخ بنفسه ؟

ـ انه وحده القادر على انقاذنا ، لن يبقى لدينا من مال لنشرب ، لنرسل اليه احدا يخبره بما حل بنا .

في ذلك الوقت كان ثمة شخص يعبر البوابة الرئيسة خارجا من المدينة على صهوة جواده ، معتمرا قبعته العالية ، بينما تدلت على ظهره جعبة السهام ، لكنها لم تكن سهاما زرقاء هذه المرة .

كان الفارس هو هانز أحد حراس جيسلر ومن المقربين لرئيس حراسه شتاين ، قطع هانز الطريق وتلقفته دروب الغابة ومسالكها الملتوية ، وبدا وكأنه يعرف الطريق جيدا الى كوخ وليم تل .

وعندما باب كوخه كان تل يتناول الطعام بينما كان كريك مايزال يطعم الحطب لنار الموقد رفع كريك رأسه عندما سمع وقع حوافر

حصان تقترب منهما ، نظر الى تل نظرة متسائلـة ، فسحب هذا سهما من جعبته ثم دسه في قوســـــه وبدأ ينقل بصره بين الممرات المؤديــة للبيت ، تردد صدى مـألوف بالنبة لكليهما فقد كــان الفارس هانز يصفر بطريقة يعرفها تل جيداً،ابتسم تل ثم طوح بقوســـه جانبا :

ـ انه احد أصحابنا • ترى من يكون ؟

وضـع كريـك يده على فمــه يصفر اللحـن نفسه : • بينما لاح لهما هانـز من بعيد مخفـا كريك لاستقباله • ثم صحبه الى حيث يجلس تل • الذي نهض لاستقبال هانز :

ـ هيه أهلا هانز ماالذي جاء بك •

ترجل هانز عن فرسه ومد يده الى تل مصافحا :

ـ ان جيسلر يغلي غضبا ، فلقد جعلته أضحوكة بين الناس ياتل •

جلس الثلاثة حول نار الموقد ، فقال تل :

ـ لن يرتاح لـي بال ، الا بعد التخلص نهائيا منــــــه •

قال هانز ـ لقد زاد غضبــه على ابناء البلدة ففرض عليهم ضريبة جديدة، تقضي بدفع قطعة نقـد صغيرة لكــل من يريد اغتراف الماء من البئر •

اعتدل تل في جلسته وقال :

ـ يكفيــه ماسرقــه من الناس •

رد هانز :

ـ ولكنه هذه المرة يفكر برأسك ياوليم •

حدق وليم في وجه هانز وصاح متسائلا:

ـ رأسي أنـــا ؟ !

رد هانز :

ـ نعم ، لقد جعل جيسلر المال المتجمع في الكيس قرب البئر هدية لكل من يأتيه برأسك •

ضحك كريك وقال :

ـ لابد انه مبلغ كبير بحيث يغري احدهم بالبحث عن تل .

رد هانز :

ـ الحق ان المبلغ يتزايد والكيس ينتفخ ، فالناس لايسكن ان تستغني عن الماء قطعا .

سحب تل واحدا من سهامه الزرقاء وسدده نحو شجرة نائية فانطلق السهم واصاب جذع الشجرة ، ضحك تل وقال :

ـ هذه السهام الجديدة جديرة برأس جيسلر ، مارأيك ياهانز ؟

قال هانز :

ـ الحق ، انـه خائف ويشدد الحراسـه على نفسـه .

قطب تل جبنية وقال بألم :



ها هو الآن وقد اصبح اسيرا لدى حراس جيسلر

— الجبان ، لو كنت أريد اصطياده لما قصرت عن ذلك ، كنت اعطيه دائما الفرصة لاصلاح نفسه ، اما الان فالامر مختلف تماما ، لاجدوى في اصلاح هذا الطاغية ،

صمت تل قليلا ثم التفت الى هانز متسائلا :

— متى سيمتليء الكيس ياهانز ؟ .

— بعد يومين على الاقل .

نهض تل من مكانه ووقف جوار هانز وقال :

— عليك أن تجعل نوبة حراستك ، على الكيس بعد يومين ، عندها سنزورك انا وكريك قرب البئر، فهل تستطيع مساعدتنا ؟

هب هانز من مكانه وهز براسه موافقا .

واستأذن هانز بالانصراف لكي لا يلفت بغيابه الانظار عندها قال كريك :

— أتفكر بسرقة الكيس ياوليم ؟

— نعم وسنعيد توزيع المال على ابناء البلدة .

— يقول هانز ان الحراسة مشددة على البئر ، وراسك مطلوب من جلاوزة جيسلر .

نعم ياعزيزي ولكنك لو ساعدتني واستخدمت عقلك بمهارة مثلما تستخدم سيفك ، فستجد الحل المناسب .

. . .

اجتاز هانز مسالك الغابة عائدا الى المدينة ، كان الظلام قد بدأ يغمر ارجاء الغابة وطرقها ،عندما قطع نصف الطريق أحس بأن ثمة حركة مريبة تجري خلفه ، وتكاد تلاحقه ، فيما راحت الارانب البرية تتقافز أمامه . وعلى جانبي الطريق ، . أيقن هانز ان شيئا غير طبيعي يجري ، توقف هانز في مكانه فانقطع الصوت الذي كان يلاحقه ، ولما عاود المسير عاد الصوت يتابعه .

لكز هانز جواده وانطلق باقصى سرعتـــه ، وفي اندفاعته التفت هانز خلفه فلمح فارسين يغذان السير وراءه ،

أخذ هانز يجهد حصانه بالركض ، كان يريد أن يصل الى المدينة قبل أن يدركه الظلام ، خصوصا وان نوبته في حراســه البئر ستحين بعد قليل ولربمــا افتقده زملاؤه الحرس عندما ، ستطارده الشـــكوك حتما وربما افتضح أمره •

وخلال انطلاقه السريـــع لم يتبين هانز وسط الظلام الذي بدأ يلف الغابـــة تلك الاشبـــاح التي برزت له فجأة من بين الاشجار وقطعت عليه الطريق فخفف ســرعته ، وعندما كان يصل الى قرب مـــوقع تلك الاشباح تلقى هانز ضربة قويـــة على رأســـه أطلق على أثرها صرخة مدوية ثم سقط ارضا وهـــو يتلوى ألما وأحس بان الاشباح تهجم عليه تحاصره

وتوثق يديه قبل ان يغيب عن الوعي تماما •

• • •

ـ هيه ، انهض أيها الكسول ، امامنا يوم عمل حافل وانت لاتشبـــع نوما ، ••• أوه ياكريك ماذا دهاك ؟ انهض بحق السماء لكي لايفوتنا الوقت ، ويفسد كل شي •

فتح كريك عينيـــه بتثاقل فوجد وليم قائما فـــوق رأسه وهو لايكاد يتمالك نفسه ، حاول العودة الى النوم ثانية ، ولكنه وجد تل يشير اليه بسطل ماء بارد، لن يتوانى عن اغراقه بالماء ان لم ينهــض • فنهض من نومــه متثاقــلا ثــم اتجــه الــى الساقية فغســل وجهة ثم خاطب وليم قائلا :

ـ ارجـــو ان تكون شاطرا في اعداد الفطار مثل شطارتك في ازعاج النائمين • هل اعددت لنا شيئا نأكلـــه •

ابتسم وليم واشار الى قدر يغلي فوق الموقد الحجري •

ـ قد يحالفك الحظ فتجد طعاما لم يحترق بعد ،

حمل كريك قدر الطعام ثم صب لـه في صحن قليلا من الحساء ، ثم جلس يتناوله على مهل ،

وفيما هو يرشف من صحن الحساء ، ازاح الملعقة عن فمه وسأل تل :

ـ ما المطلوب مني ؟

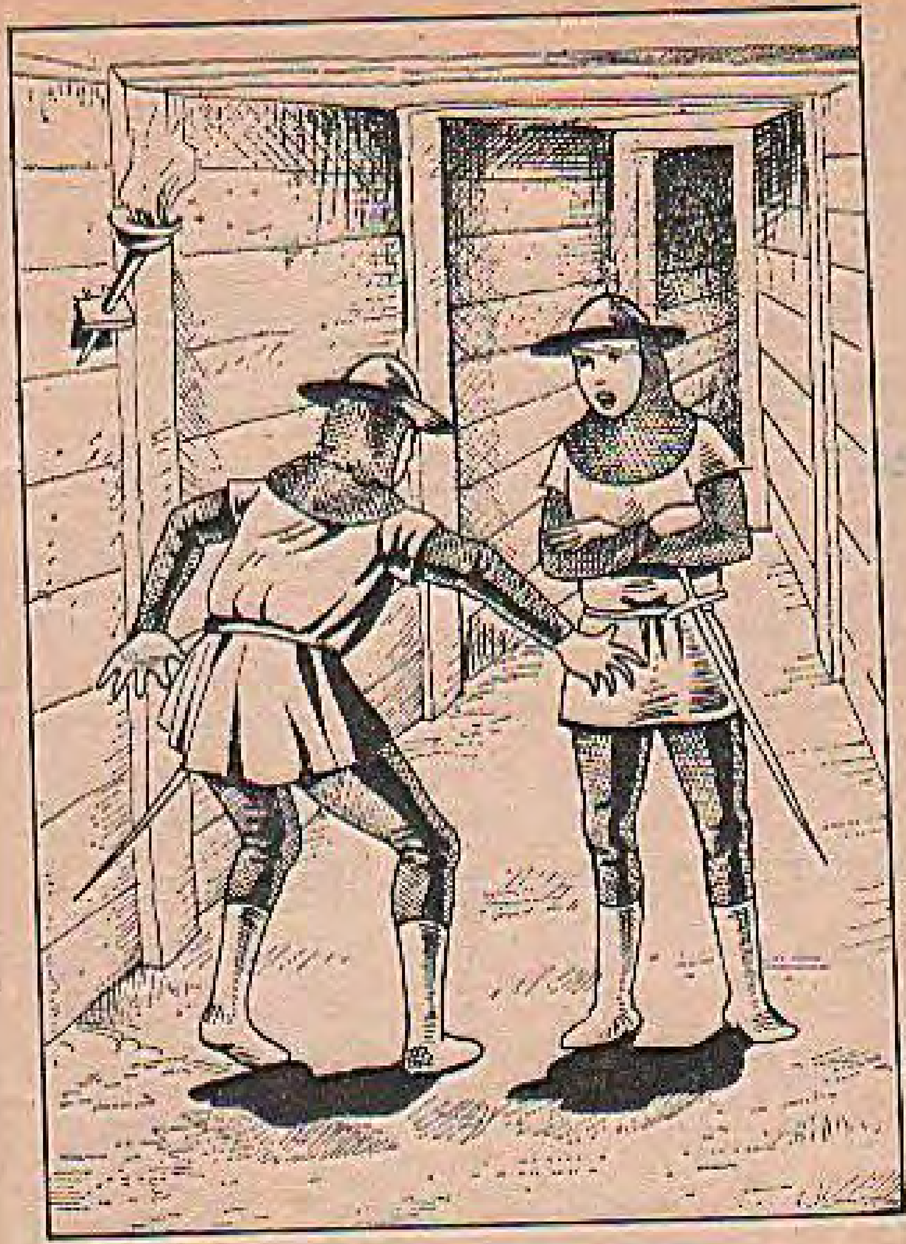
قال وليم ـ مهمتنا الليلـة تحتاج الى حمارين ، وملابس خاصة برعاة الاغنام ، وهذه مهمتك •

ازاح كريك صحن الحساء جانبا وقال •

ـ اما الحماران فلا تقلق عليهما انهمـا موجودان •

ـ أين ؟؟

ضحك كريك واشار الى تل قائلا :



اطمأن الحارس الذي راعه وجود حركة داخل النفق ..

— انهما أنا وانت ! ..

انفجر تل ضاحكا ، فهو قد تعود على مزاح صاحبه كثيرا ، ثم توقف عن الضحك وقال :

— لاوقت للمزاح ، هل تستطيع ان توفر ما طلبته منك ؟

هز كريك رأسه بالايجاب .

بينما راح تل يبري المزيد من نباله الزرقاء .

...

أفاق هانز من غيبوبته ، وتحسس رأسه الذي كان يؤلمه ثم أداره في أرجاء القبو المظلم الذي لا يعرف كيف وصله تساءل في سره :— يا ألهي ، أين ؟ أنا ؟

تحسس جدران الغرفة بيديه ، استند على الجدار ونهض بصعوبة بالغة ، وراح ينقل خطواته ببطء ، وبموازاة الجدار ، لم يكن هانز يتبين شيئا

من حوله اذ كان المكان يغرق في لجة الظلام الدامس لكن ثمة كوة في اعلى الجدار وفي نهاية القبو تسرب اليه شيئا من الضوء اتجه الى القبو وأسفل الكوة وحاول ان يصل اليها ، ولكن جدران القبو الملساء أبت أن تطاوعه .

وبينما هو دائب في البحث عن منفذ أو دليل يكشف له المكان ، سمع صليل باب حديدي يفتح ليدخل منه شبحان ، ناداه أحدهما .

— هانز تعال معنا .

ولقد دهش هانز حقا ، فلقد كان الصوت مألوفا لديه ، اذ لم يكن غير صوت زميله الحارس يان ، اذن لقد صدق حدسه وها هو الان سجين بين قبضتي شتاين رئيس الحراس الشرس ، ترى هل افتضح أمر علاقته بوليم تل ؟

عندما سار هانز الى جوار يان وعبرا النفق

المظلم ، وبدأت معالم السجن لعيني هانز تتضح

ــ ماالذي يجري هنا بحق السماء ، لماذا انا سجين يايان ؟

همس يان في أذنه :

ــ هش •• يقولون أنك من أعوان تل ولقد راقبوك يوم أمس وانت تذهب اليه في الغابة •

كان الحارسان يقتادان هانز الى غرفة شتاين ، رئيس الحراس ، وكان هانز يعد نفسه لمواجهة ساخنة مع شتاين ، فما ان أدخل اليه حتى هب واقفا وهو يمور غضبا وسدد صفعه قوية الى وجه هانز وهو يجأر : ــ خائن •• جاسوس ، ماذا كنت تفعل عند تل يوم أمس ؟

أيقن هانز أنه وقع في المصيدة ، والنفي لن يجديه نفعا ، اذ ليس أيسر من ان يأمر جيسلر برأسه ، ومازال شتاين يدور ويلف حوله غاضبا :

ــ ماذا كنت تدبر مع هذا المشاغب ؟ •• قل •• تكلم ••

كانت نظرات شتاين تحاصره وتسد عليه أي منفذ للتفكير وكلماته تطن في أذنيه مثل مطرقة

حاول هانز ان يلوذ بالصمت ، لكن نظرات شتاين كانت :

ــ انت تعلم ياهانز ماعقوبة الخائن عندنا•امامك أمل واحد في أن يعفوعنك مولانا جيسلر ، وتنال عنده الحظوة والرعاية اريدك ان تعلمنا ماذا يدبر لنا هذا اللعين تل • لاتنكر أنه صديقك ، لقد كنا نراقبك منذ مدة طويلة ، واذا أمتنعت فلن تجد رأسك فوق كتفيك ، بعد الان •

أمسك هانز بتلابيب الصمت وظل هادئا يرفض البوح باسرار وليم عندها فقد شتاين صبره ، فغمز احراسه بأشارة متفق عليها فاذا هم ينالون ضربا وركلا على زميلهم هانز ، استمر الضرب فترة طويلة

سقط على اثرها هانز مغشيا عليه ؛ عندها أمر شتاين بدلو ماء بارد سكب على هانز فلما أفاق ، اقترب منه شتاين وخاطبه قائلا :

ــ هه ، هل ستعترف أم نعيد الكرة معك ؟ •

دفع هانز يده الى أعلى معلنا استسلامه وقال :

ــ لا •• كفى •• ساقول كل شيء •

وراح يقص على شتاين خطة تل وزميله كريك في مهاجمة البئر والاستيلاء على المال لتوزيعه على أبناء البلدة •

اقترب شتاين من هانز وربت على كتفه وقال بخبث :

ــ ستكون الليلة ياهانز في نوبة الحراسة • وما ان تتاكد من قدوم تل حتى تطلق صيحة تحذير ، عندها ستنشق الارض ويخرج منها رجالي ، ليطبقوا على تل ، اذهب الان وخذ قسطا من الراحة ، لكي تقوم بمهمة

الحراسة على خير مايرام •

وبينما كان هانز يغادر القاعة كان اثنان من الحراس يتبعانه ويرصدان حركاته خوفا من افلاته منهم وايصال المعلومات الجديدة الى تل •

• • •

ضحك كريك واهتز جسمه وهو ينظر الى تل المتنكر بملابس رعاة الاغنام ، حدجه وليم بنظرة حادة :

ــ ما الذي يضحكك ؟

واصل كريك ضحكة : لم لاتترك القوس والنشاب وتعمل راعيا للأغنام ، اتجه تل الى حصانه وقال •

ــ هيا بنا ، قبل أن يفوتنا الوقت ••

امتطى كريك صهوة جواده هو الاخر ، وانطلقا نحو بوابة المدينة ، وقبل أن يصلا وجدا احد زملائهم وقد هيأ لهما حمارين ومجموعة من الاغنام ، ترجل

الفارسان عن صهوتي حصانيهما ، ثم اقتادا الحمارين والأغنام وعبرا بوابه المدينة متجهين الى ساحتها الرئيسة حيث يقع بئر الماء ، وقبل أن يصلا استوقفهما أحد الحراس صائحـا :-

ـ هيـه ، الى أين تذهبان ؟

قال تل ـ الـى البئر ياسيدي ، دهمنا الليل ، واغنامنا عطشى ونريد أن نستقي الماء .

تنحى الحارس عنهما جانبا وهـو يزأر :

ـ أشك في أنكما ستحصلان على قطـرة مـاء واحدة .

تظاهر كريك بالغفلة وقال :

ـ لم أيها الحارس الطيب ؟

رد الحارس ـ : لأن حاكمنا جيسلر فرض ضريبة على الماء ، ويبدو لي أنكما مفلسين مثلي .

التفت اليه تل وقال :

ـ يمكنك أن تشرب الماء مجانا او تحصل على ثروة جيدة فيما لو أفلحت برأس وليم تل !

غص كريك بضحكة كادت أن تفضحهما ولكن تل خزره بنظرة فرد كريك مستدركا :

ـ ذلك اللعين تل ، اه لو أمسكت بـه فان وزنه يساوي ذهبـا .

انصرف الحارس الى واجبه ، بينما اتجه الاثنان بقطيع الاغنام نحو البئر ومن بعيد أمكن لكريك ان يلمح هانز قائما على الحراسة قرب البئر ، فاطمأن الى أن الخطة تجري في الاتجاة الصحيح ، فالمكان خال الا من كريك ، والظلام بدأ يغمر الساحـة وهانـز يتسمر في مكانه مثل شبح نحيل ،

همس كريك ـ هاهو هانز والمكان مقفر

رد تل : هذا مما يسهل مهمتنا .

شيئا فشيئا كان الاثنـان يقتربان مـن البئـر ، وبينما كانت الاغنام تحيط بالبئر انصرف كريك الى اغتراف الماء فيما راح تل يفك الحبل عـن كيس النقود ، وظل هانز صامتا مـرتعشا مثل السعفـة

وقبل ان يكمل تل فك عقدة الحبل ، كان ثمـة سهم يمرق فوق يده ويرتطم بالعمود ، توقف تل وتلفت حوله فاذا بالساحة مليئة بالاشباح التي هيأها شتاين للايقاع بتل ، استل تل سيفه وبتر حبـال الكيس . سقط الكيس أرضا فحمله تل ثم قذفـه ...

ــ احتفظ بالكيس وسأتكفل بالخائن هانز،لوح تل بسيفه بالهواء ثم حاول أن يسدده نحو هانـز لكن هذا صاح بـه مرعوبا .

ــ رحماك ياتل ، انتظر قليلا ، ساقاتل الـى جانبك لكي اثبت لك عدم خيانتي .

دس كريك الكيس في جيبـه ثم استل الثلاثة

سيوفهم وبدأ الحرس يقتربون منهم مضيقين الخناق عليهم وأمكن لكريك أن يعد أكثر من ثلاثين فارسا مدججين بالسلاح وكل واحد منهم يطمح لان يقتله لكي يفوز بالجائزة . كانت دقائق صعبـة ممهورة بالصمت الذي قطعه صوت شتاين الاجش :

ــ انك محاصر ياتل ، لامجال لديك للهرب ، سلم نفسك .

صرخ تل بصوت قوي :

ــ ايها الجبان تريدني أن أكون تحت رحمتك ، ان سهامي الزرقاء لـن تفلتك ياشتاين .

رد شتاين من مكانه بصوت متهدج :

ــ ان مولانا جيسلر سيعفو عنك ، بشرط ان تترك المدينة ، الى الابد .

صرخ بـه تل ثانية :

ــ اللعنـة عليك وعلى مـولاك جيسلر ، اذهبا الى الجحيم .

تأكد تل تماما أن براعته في السيف لن تجديه نفعا ازاء هذا العدد الهائل من الفرسان الذين حشدهم شتاين ، كما انه غير قادر على مقاتلتهم بالسهام وهم يحيطون به من كل جهة ويتحصنون بالليل والاشجار العالية التي تحيط بالساحة •

تراجع تل قليلا حتى حاذى صاحبيه ، وقال لهما :

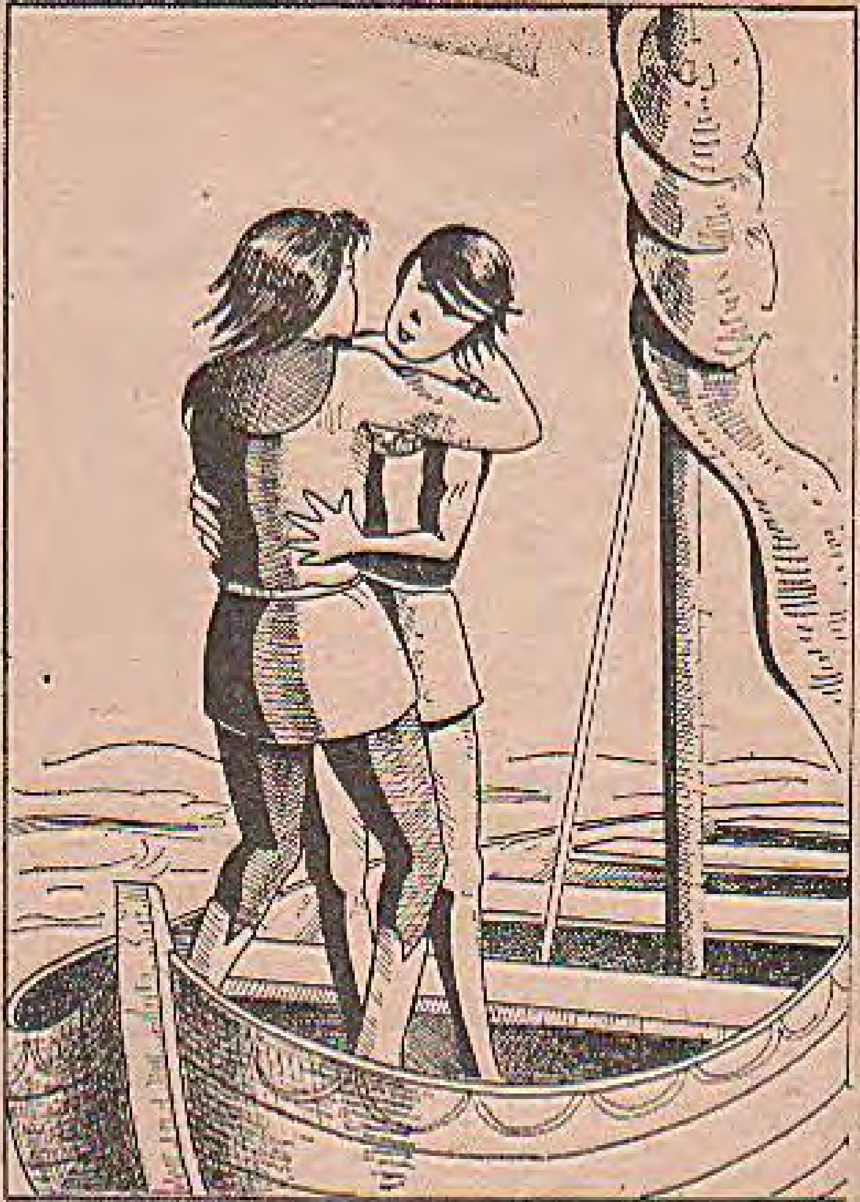
ـ افعلا مثلما سأفعل ، فاننا لن نستطيع مقاومة كل هؤلاء الاوغاد •

كان بينه وبين الحرس مسافة ثلاثين مترا فقط والى اليسار ترتفع ثلاثة أو أربعة اشجار باسقة متشابكة الأغصان اومأ تل برأسه نحو مكان الاشجار واطلق ساقية للريح وهو يطلق صيحات بثت الرعب في نفوس الحرس الذين حاولوا التصدي للثلاثة ولكن قبل أن يصل الى جدار الحرس القابع خلف

الاشجار تعلق تل وتبعه زميلاه بشجرة ثم تسلق الثلاثة أغصان الشجرة وراحوا يشقون طريقهم بين أغصانها، ساد الارتباك صفوف الحراس ، بينما استل تل سهما أزرق من جعبته وراح يطلق عينيه في أرجاء الساحة عله يلمح شتاين • أحس شتاين بأن الامر يكاد يفلت من بين يديه فاخذ يبحث عن منفذ للهرب محتميا بحراسه ، أطلق تل سهمه الاول بأتجاه أحد الحراس فارداه أرضا فيما كان يوجه صاحبيه :

ـ عليكما بالاوغاد ، وجهوا اليهم سهامكم ، ولا تدعو أحدا يفلت منهم • تساقط عدد كثير من الحراس وسط الساحة ، وكانت السهام الزرقاء تشق طريقها وسط الظلام محلقة مجنحة لاتخطيء هدفها الا نادرا • شيئا فشيئا كادت الساحة تخلو من جند جيسلر ، فهمس تل في اذن كريك :ـ

كريك انزل واركض امامنا الى موضع الخيول وبقفزة واحدة رشيقة حط كريك



عانق تل صاحبه كريك وقال حمدا الله على سلامتنا ياكريك

ارضا تبعــه كل من هانز وتل وبدا الثلاثة يقطعون الساحة ركضا الى حيث وجدوا خيولهم ، بينما تجمع عدد غفير من الناس يرقبون المعركة التي جرت في الساحة ، وعندما صار الثلاثة بمحاذاة ابناء المدينــة المتجمهرن استل كريك كيس المال وقذفــه نحو الناس صائحـــا :

ــ هذا مالكم الذي دفعتموه ثمنا للماء ، وزعوه بينكم •

بينما صـــاح تـــل :

ــ اخرجا قبل ، أن يتابعنـــا بعض الحراس : وسأقوم بحمايتكما •

وعندما عبر كريك وهانز بوابة المدينة ، كان تل يتأخر عنهما بمسافة قليلة وقبل أن يعبر بوابة المدينة الخالية من الحرس تماما ، حدث شيء غير متوقع تماما فعند البوابــة تماما اسقط الحراس من فوق ســور البوابة شبكة من حبال متينة فسقط تل أرضا ، حاول

جهده أن يتخلص من الحبـال من غير جدوى فقد اغلقت البوابة واحاطته ثلة من الحرس وقد شهرت سيوفها بوجهه ، وها هو الان وقد أصبح أسـيرا لدى حراس جيسلـر •

شاع الخبر بين الناس من ان جيسلر قـد القى القبض على وليم تـل واوجس الناس خيفـة على مصير تل ، فهم يعرفون ان جيسلر يقتل الناس لاتفه الاسباب فكيف الحال مع عدوه اللدود تل •

اما في اطراف الغابة وخارج أسوار المدينة ، فقد ظل كريك قلقا على مصير صديقه تل ، بعدما أغلقت الابواب ، واخذت شكوكه تحوم حـول هانز ،

حاول كريك أن يبعد هذه الفكرة عنه ، ولكنـه لم يكد يطق صبرا فلربمـا يكـون هانـز : احد جواسيس جيسلـر ، فصرخ في هانـز : قل لي ماذا دبرت لوليم التفت اليه هانز مذعورا وتسأل :

ــ أنا ؟ ! أقسم لك أنني لا أعرف من الامـر شـيئا مـن حقك أن تشك في •

قاطعه كريك ــ لانك الوحيد الـذي كان يعرف بمهمـــة البئر •

غير ان هانز سرعان ما مزق قميصـه وكشف صدره لكريك صائحا •

ــ انظر ، هذه علامات عذابهم لي ان خائنـا لا يستطيع تحمل مثل هذا العذاب من أجلك ومن أجل وليـم تـــل •

تأكد كريك أن شكة في غير محله ، فتقدم مـن هانز وربت على كتفه قائلا : ــ لاعليك ياهانز ، أسف انقلقي على مصير وليم يجعلني أفكر في هذا ؟ •

استقلى كريك أرضا ثم أشار الى هانز لان يجلس

الى جانبه قال كريك ـ علينا أن نفكر بطريقة لندخل بها المدينـــة

ابتسم هانز وقال :

ـ أبواب المدينة مغلقـة تماما ، غير أنني أعرف نفقا سريا يمر اسفل سياج المدينة ويوصل الى قصر جيسلر . تهلل وجه كريك فرحا فقال :

ـ أيــه ماذا بعد ؟

تابع هانز هذا النفق لايعرفـه غير حراس قلائل وانا واحد منهم وقد أعـده جيسلر لهربـه فيما اذا اضطرته الظروف الى ذلك فنهض هانز من مكانـه مسرعا ، وقال مخاطبا هانز :

ـ اقلع ملابسك ياصاحبي .

قال هانز مدهوشا ـ لماذا ؟

وقبل ان ينتظر جواب كريك كان هانز يقدم ملابسه الى كريك الذي قلع ملابسه هو الاخر :

ـ خذ ارتـد ملابسي ، وستدلني على ذلك

النفق الملعــــون ،

ـ ملابسك لن تثـير ريبة الحرس . هيا ياهانز لا وقت لدينا .

امتثل هانـز لطلـب كريــك ثـم انطلـق الاثنان صوب سياج المدينة ودارا حـوله . توقف هانز ثم أشار الـى كومـة حشائش تـركن أسفل الحصن :

ـ ازح تلك الحشائش ستجد بابا خشبيا ، يفضي بك الى سلم ، اهبط السلم ، ستجد نفسك في بداية نفق يؤدي في نهايته الى القاعة الرئيسـة في قصـر جيسلر واذا مافاجأك الحراس فكلمـة الســر هي (الجو حسن في الخارج) .

التفت اليه كريك باسما ثم عانقه قائلا ؟

ـ شكرا ياهانز ، ارجو ان تذهب الى بيت وليم وتعتني بالصغير جيم ريثما ينجلي الموقف تماما .

عند المكان المحدد تماما ، ازاح كريك الحشائش

بيديه فعثر على الباب الخشبي ، وأمسك كريك بمقبض الباب وسحبه بقوة ، انفتح الباب ولاح له السلم ، نزل كريك بهدوء درجات السلم واحدة واحدة فافضت به الى بداية نفق يبدو طويلا مظلما رطبا تفوح منه رائحة العفونة وتتردد بين جدرانه اصوات الفئران المذعورة ، لم يكن كريك يتبين شيئا اول الامر فقد كان الظلام دامسا ، لكن عينيه بدأتا تألفان الظلام تدريجيا وبدأتا تتعرفان على معالم الطريق فبدأ يقطع النفق بخطوات متسارعة ، لم يكن كريك يعرف كم من الامتار قطع لكنه كان قد سار وقتا طويلا ، وقبل أن يصل نهاية النفق سمع صوتا يصرخ به : ــ قف .

أجاب كريك بصوت واضح ــ من أنت ؟

سأل الاخر ــ كيف حال الجو ،

فهم كريك ان الصوت يسأل عن كلمة السر التي تسمح له بولوج النفق .

اطمأن الحارس الذي راعه وجود حركة داخل النفق ان لا شيء غريبا يحدث هناك فانصرف بينما كان كريك يعتلي درجات سلم مرمري وهو يعدل من لباسه ويحكم وضع قلنسوة الحرس على وجهه بحيث تخفي بعض ملامحه المألوفة عند حرس جيسلر ها هو الآن أخيرا وسط القاعة الداخلية لقصر جيسلر التي ينتشر الحراس في ارجائها ويحرسون بواباتها .
تقدم كريك من غير ان يفطن أحد لوجوده وتوقف قرب أحدى البوابات الرئيسة بجوار حارسين كانا منصرفين الى حديث طويل اثار اهتمام كريك فارهف سمعه اليه :

ــ وهل اتخذ مولانا جيسلر قررا بشأن تل ؟

ــ ليس بعد ، ولكن من المؤكد ايه سيأمر باعدامه .

ــ من كان يتوقع ان يقع تل في قبضة جيسلر بهذه السهولة ؟

— أتشك في حسن تدبير رئيسنا شتاين ، لقد كان فخا محكما .

— لا بد ان شتاين الان ينعم بعطايا مولايا جيسلر ردا لجميله الكبير .

— الحق أن شتاين مازال خائفا وهو لن يبرح بيته مالم يتم القاء القبض على كريك زميل تل .

كظم كريك غضبه وهو يستمع الى هذا الحوار ، كان يغلي ويفور ويصب اللعنات في داخله على شتاين وجيسلر :

— اللعنة انهم سيقتلون وليم لامحاله ، ماذا أفعل ياربي ؟

وبدأ كريك يقطع ارجاء القاعة ، باحثا عن وسيلة ينقذ بها صديقه المهدد ، لم يكن يدري أن عينين خبيثتين كانتا ترقبانه في رواحه ومجيئه وترصدان حركاته من خلف ستائر نافذة مطلة

على القاعة . وما ان أصبح كريك قريبا من النافذة حتى فاجأه صوت : — كريك .

ومن غير ان يدري كان كريك يلتفت لا شعوريا الى مصدر الصوت فاذا بعينيه تلتقيان بعيني شتاين الذي أيقن ان شكوكه في محلها وها هو كريك يحاول انقاذ صديقه وليم تل ..

صاح شتاين بحراسه :

— هذا هو كريك القوا القبض عليه .

سحب كريك سيفه واستدار حوله استدارة كاملة فالفى الحراس يسدون عليه المنافذ والابواب ، فأيقن انه غير قادر على مجابهتهم واذا كان لابد من الموت فليمت مع صديقه وليم فالقى كريك سلاحه أرضا ، فهرع اليه الحراس وقيدوه .. صاح به شتاين شامتا :

— اخيرا وقعت مثل صاحبك ياكريك .

ثم التفت الى حراسه ، واشار :

— خذوه الى صاحبه في السجن .

• • •

قاعة الحكم في قصر جيسلر تغص بالحرس ، وكان مجلس الحاكم يتصدر القاعة ، وهو على دكة عالية يحيط به رجال حاشيته وعلى رأسهم الداهيه شتاين اما الحاكم فقد كانت عيناه لا تستقران في محجريهما فعلى الرغم من أن تل وكريك أسيران لديه الا أنه كان يشك في مفاجأة ما تنقذهما من براثنه ولعله كان يستقريء وجوه حراسه فهو لا يستبعد ابدا وجود عملاء لتل بين صفوف الحرس .

ومنذ أن وصله نبأ القاء القبض على تل كان جيسلر قد اتخذ قرارا بشنقه وسط المدينة ولكنه الان يبدو مستعدا تماما للعفو عنه واطلاق سراحه ، بشرط أن يغض النظر عن سرقانه وبطشه وأرهابه ولكنه في قرارة نفسه كان يعلم بان تل سيرفض هذه

المساومة ، لهذا لم يكن أمام جيسلر الا القضاء على تل وصاحبه وبأسرع وقت .

صفق جيسلر بيديه فعم الصمت القاعة وتحولت الانظار اليه .

ثم التفت الى شتاين الواقف الى يمينه وقال :

— أدخلهما ...

انحنى شتاين احتراما لسيده ثم قطع الصالة بخطوات متسارعة منتظمة وعندما وصل البوابة الكبيرة اشار بيده اشارة دخل على اثرها جمع من جنده وهم يقتادون تل وكريك مكبلين بالاصفاد .

وما ان راهما جيسلر حتى اطلق صرخه عاليه شامتة وقال :

اخيرا وقعتما في يدي أيها المحتالان . هذه المرة لن تفلتا من يدي . انظرا فان جندي متأهبون تماما لاجتثاثكما من حياتكما المنكودة هذه .

أجال تل بصره في ارجاء القاعة الفسيحة ، وكانت نظراته ترتطم بعدد كبير من الجند وقد زرعوا بين الاعمدة وقرب الابواب وظلفات الشبابيك ، ادرك أن لامعنى لاية مقاومة خصوصا وانهما مكبلين بسلاسل حديدية على معصميهما وأرجلهما •

نهض جيسلر من مكانه وسار بخطوات متباطئة حتى أصبح قرب تل وقال :

امامك فرصة أخيرة ياتل ، اما ان تتعاون معنا ، فنجعلك غنيا مقربا ، او ترحل عن هذه المدينة ، والا فليس امامك سوى الموت •

صمت تل ولم ينبس ببنت شفه ، وحينما اعاد عليه جيسلر السؤال أجاب :

ـ اسألوا كريك اولا ، فانا أوافق على ما يوافق عليه صاحبي • حدجه كريك بنظرة غاضبة وصاح :

ـ سافعل ماتفعله أنت ياتل ، وبما انني أعرفك

جيدا ، وانك ترفض ان تكون حاميا لطاغية مثل جيسلر فانا بانتظار الموت •

اومأ تل برأسه موافقا وقال •

ـ هذا ماكنت أفكر فيه أيضا • نفذ ما يدور برأسك ياجيسلر فلسنا عبيدا لك ولكنك ستندم ان قتلتنا ، فان لنا من ابناء المدينة التي حميناها ودفعنا من اجلها سنوات عمرنا لنا بينهم رفاق واصدقاء سيثأرون لنا ، ولن يشفي غليلهم سوى رأسك ياجيسلر •

احس جيسلر برجفة تسري في اوصاله واخذ يهتز مثل السعفة خوفا وغضبا ، اذ مازال هذا الفتى يخيفه ويتلاعب باعصابه مع كونه اسيرا لديه ، ثم كيف غاب الامر عن باله ، انه ليلمس بوضوح مقدار حقد الناس عليه وعداؤهم يتخذ اشكالا سافرة وعلنية من يضمن له بانهم لن يطيحوا برأسه مثلما قال تل •

ثم يكن يخفي على تـل ماكان يـدور في عقل الطاغية جيسلر المعروف بجبنه ايضا ، واحس باذ كلامه قد بدأ يفعل في نفسه المهزوزة فتابع قوله :

ـ ليكن في علمك ان من بين جندك من هو مستعد للتضحية في سبيلي ، أنسيت هانز حارسك الامين .. انه مثال واحد لذلك .

توقف جيسلر عن سيره ثم التفت الـى تل وصاح بقـوة :

كفى كفى ثرثرة ، انك لملعون تريد أن تتعبني في موتك مثلما اتعبتني في حياتك ... لا .. لـن اقتلك فـاريحك يجب ان تتعذب مثلما تعذبت ، سأنفيك الى جزيرة نائيـة مهجورة لتمضي فيها بقيـة حياتك بين الكواسر والذئاب .

ثم أمر بالاسيرين فاخرجا من القاعة بعد ان رمق الحرس بنظرة شزرة وصاح بهم ـ اخرجـوا ايها

الاوغاد ، أنكم خونـــة ..
فيما ظل شتاين متسمرا . فالتفت اليـه جيسلر وقـال :

ـ هيء لنا زورقا وثلاثـة حراس اشداء ، لنفـي هذين الشقين الى جزيرة مهجورة في عرض البحر

انحنى شتاين طائعـا :

ـ امـر مولاي وسأخرج معهما لكي أتأكد من ايصالهما الى الجزيرة .

رفع جيسلر يده وهز رأسه نفيا وصاح بصوت تملؤه المرارة :

ـ لا .. لا .. من يضمن بأنك لـن تقتلهما ؛ للتخلص من سخريتهما منك ومن جندك .لاأريد ان يقتلا فتقوم القائمة على رأسي .
صمت جيسلر قليلا ثم اضاف :

ـ انا ساخرج معهما حتى أتأكد من وصولهما الى أرض الجزيرة •

• • •

صباحا ، ابحر من شاطىء المدينة زورق صغير ، ضم كلا من تل وكريك المكبلين «بسلاسل حديدية» وفي جانب القارب الاخر جلس جيسلر يحيط بـه حارسان من أشد حراسه واشجعهم • نشر القارب شراعه للريح ، فبدأ سيره باتجاه عرض البحر •

كانت الشمس مشرقة والريح تهب عذبـة خفيفـه مواتية ، لأبحار هادىء أمين ، ظل تل وكريك صامتين بينما كان جيسلر يرنو اليهما بين أونـة واخرى ليتأكد من سلامة قيودهما ويرنو تارة اخرى الـى ساحل المدينة الذي اختفى عن عينيه تماما • مضت الرحلة هادئـة اول الامر غير ان الريح بدات تشتد شئيا فشيئا فيما كانت قطعان من الغيوم تتجمـع في

السماء ، فيما بدأت موجات صغيرة من ماء البحر تلطم صفحتي القـارب الصغير فتهـزه • اضطرب جيسلر وبدأ الخوف يساوره فصاح بأحد حراسه •

ـ كم بقي لدينا من الوقت لنصل هذه الجزيرة الملعـونة ؟

رد الحارس ـ لـم يبق سـوى وقت قليـل ياسيدي •

عـلا مـوج البحر وبدأ يتقاذف القارب بدأت قطرات من المطر تهطل لتبلل المبحرين قال تـل :

ـ ان الاتجاه القارب قدتغـير ، ليس هذا درب الجزيرة !

قال جيسلر ـ وأين الطريق اذن ؟

اشار تل الى الاتجاه المعاكس ـ هاهو ••

واخذ القارب يبدو مثل قشـة تتقاذفها الرياح ، حاول الحراس أن يضعوا القارب في الاتجاه الصحيح

فأنزلوا الشراع وبدأوا باستعمال المجاديف ، لكـن محاولاتهم باءت بالفشل تمامـــا .

نظر تل الى جيسلر وقال باسما .

ـ هل يعرف مولاي السباحة ؟

ارتجف جيسلر وحملق فيه مرعوبا وقال :

ـ لا .. لماذا تسأل ؟

هز تل رأســه نفيا فيما ظلت ابتسامتــه ترعب جيسلر قال تل :

لا أبدا ، أذن سنموت معا .

هب جيسلر واقفا في مكانـه وقــال بصــوت مــرتعش .

ـ لا .. ـ لم أت هنا لكي أموت .

ابتسم كريك هو الاخر وقال :

ـ ماهذا الهراء ، اذا بقينا هكذا سينقلب بنـــا

القارب ونكون طعما للاسماك أليس بين حراسك من يحسن قيادة القارب ؟

رد جيسلر بتخاذل قائــلا .

هؤلاء الملاعين لا يتقنون شيئا ســوى السرقة والكذب .

قال تل ـ مارايك لوتفك قيودنا ، فانا وكريك نحسن قيادة القارب ، كما اننا نعرف الطريق الــى الجزيرة جيدا ، فلقد سبق ان ذهبنا اليها مرارا .

نظرا اليهمــا جيسار نظرة شك أولا ، وعندمـا اطمأن الى أنهما لايحملان أي سلاح وان حراســه الثلاثــة يحيطون بــه والأهم من كــل هذا انهما يعطيانه فرصــة للحياة ، فماذا ينتظر . أمر جيسلر فحرر الاســيران من قيودهمــا ، فتسلم الاثنــان مجدافي القارب وبدأ يضربان بهما صفحة الماء بقوة .

اعتدل القارب في سيرة وأستعاد توازيــه ومن بعيد

كانت الجزيرة تلوح لهما فبدأ الاطمئنان يغزو قلب جيسلر .

بينما بدأ تل وكريك يخففان من تجد يفهما وبدأ القارب يتباطأ في سيرة ، سأل جيسلر :

— لماذا تبطئان ؟

قال تل ، كانت مهمة متعبة ، قل لحراسك بان ينشرا شراع القارب لمساعدتنا في الوصول الى الجزيرة سالمين .

وفيما كان الحارسان يقتربان من الشراع كان تل وهانز يقفزان نحوهما وينتزعان سيفيهما ويقذفان بهما الى البحر فيما هب جيسلر مذعورا .

— الرحمة .. الرحمة .. ماذا تريدان ؟

قال كريك : استعد ياجيسلر لنهايتك .. ؟

انهار جيسلر تماما وبدأ يبكي بكاء مرا وخذ بالتوسل .

— سأنفذ ماتطلبان مني ؟ وساعطيكما كل ماتريدان . سخر تل منه وقال :

— لقد فات الاوان ياجيسلر .

وبينما كان تل يتقدم ببطء كان جيسلر يتراجع الى الخلف شيئا فشيئا حتى اصبح في مؤخرة القارب تماما وعندما تقدم تل خطوة اخرى كان البحر يفتح يديه ليحتضن الطاغية جيسلر بينما فغر الحارس الثالث فمه مدهوشا ورمى بسيفه وهو يطلب الرحمة.

عانق تل صاحبه كريك وقال :

— حمد الله على سلامتنا ياكريك .

ثم حرفا القارب وبدأ رحلة العودة الى المدينة ليبشرا ابناءها بالامن والعدل والسلام .